الإِعْجَازُ البِنَائِيُّ لِلنَّصِّ القُرْآنِيِّ عِنْدَ الدُّكْتُوْرِ البُسْتَانِيِّ
دِرَاسَةٌ نَظَرِيَّةٌ وَتَطْبِيْقِيَّةٌ مِنْ خِلَالِ تَفْسِيْرِهِ البِنَائِيِّ

The Structural Inimitability of the Qur'anic Text by Dr. Al-Bustani: A Theoretical and Applied Study through His Structural Interpretation

الباحثة: فاطمة عبد الرضا شاطي
الجامعة المستنصرية/ كلية الآداب / قسم اللُّغة العربيَّة
م . م . مريم جمعة راضي
الجامعة المستنصرية / المكتبة المركزية
Researcher: Fatimah Abdul Ridha Shati
Al-Mustansiriya University-College of Arts-The department of Arabic language

Assit.Lect. Maryam Jum'ah Radhi
Al-Mustansiriya University-The Central Library

maryamjumaa@uomustansiriyah.edu.iq
aaddeel83@uomustansiriyah.edu.iq

خضع البحث لبرنامج الاستلال العلمي
Turnitin - passed research

مُلَخَّصُ البحث:

أرادت الباحثتان تسليط الضّوء على واحدة من القراءات المعاصرة الكاشفة عن إعجاز النّصِّ القرآنيّ الكريم وهي القراءة البنائيَّة للعلامة الدّكتور محمود البستانيّ -رحمه الله- في نهاية القرن العشرين.

وخلاصة ما توصّلتا إليه أنَّ هذه القراءة جديدة من حيث المصطلحُ وموغلة في القِدَم من جهة المفهوم والتّطبيق؛ فهي تُعنى بالأساس بالكشف عن إعجاز النّصِّ الكريم بالوحدة التّرابطيَّة الّتي يرتبط بها التّعبير الكريم وهو ما يسمِّيه جهابذة العربيَّة والمفسِّرون (علم المناسبة) الكاشف عن عِلَّة التّرتيب ونظم الآيّ.

وقد اتَّخذت الدّراسة من التّفسير البنائيّ لسورة مريم أنموذجًا تطبيقيًّا للإعجاز البنائيّ تبيَّن فيه جزءًا من عناية البستانيّ بالوحدة البنائيَّة للتّعبير الكريم؛ وهو ما عبَّر عنها بتفسيره بـ(الكلِّ الموحَّد).

الكلمات المفتاحيّة : (الإعجاز، البستاني، التّفسير البنائيّ)

Abstract:

This research highlights a contemporary study that reveals the inimitable nature of the Qur'anic text، which is the structural study of Dr. Mahmoud Al-Bustani at the end of the twentieth century. The result of the research is that Al-Bustani's study is new in terms of terminology and deeply rooted in antiquity in terms of concept and application. It primarily focuses on revealing the inimitable nature of the Qur'anic text through the cohesive unity that the Qur'anic expression is associated with. This is what Arabic linguists and interpreters refer to as 'the science of correlation،' which uncovers the underlying reasons for the arrangement and organization of the verses.

It adopted the structural interpretation of Surah Mary (Maryam) as a practical model for the structural inimitability. It showed part of Al-Bustani's concern with the structural unity of the Qur'anic expression، which he expressed in his interpretation as 'the unified whole'.

Keywords : (Miracles، Gardener، Constructive Interpretation)

المُـقَدِّمَـةُ:

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وكفى وسلامٌ على عباده الذين اصطفى، والصلاة والسلام على الحبيب المصطفى وعلى آله الأتقياء النجباء

أمَّـا بعـد:

فإنَّ وجوه الإعجاز التي تحدَّى بها القرآنُ الكريم الإنسَ والجنَّ كثيرة ومتعددة، ولعلَّنا لا نعدو الصواب إنْ قلنا : إنَّ ما كُتب ويُكتب في هذا الباب –على كثرته– بمنزلة شاطئ البحر بالنسبة إلى لُجَّته، لأنَّ بحر الذكر الحكيم ما زال بحرًا زاخرًا باللؤلؤ والدُّرِّ، رحب المدى، عميق الأغوار، مشرع الأبواب، كلَّما قرأهُ القارئ وتبصَّر فيه ظفر بعجائبَ من عجائبه التي لا تنقضي.

وما يزال المختصُّون وغير المختصِّين من أهل العلم على مرِّ العصور يقفون أمام ذلك الكتاب العظيم موقف التلميذ المغترف من معلمه ما يشرح صدره، ويجد فيه قياد فكره، وطريق علمه، فيتلمَّس جماليَّة التعبير، وروعة التصوير، ما لا يتفوَّق عليه بيان، ولا يلتذُّ بحلاوته إلاَّ من تذوَّق حلاوة الفرقان.

ثُمَّ إنَّ المفسِّرين قديماً وحديثًا قد تنوَّعت مناهجهم، وتفاوتت قدراتهم، وتنوَّعت اتِّجاهاتهم في تفسير النصِّ القرآنيِّ ما بين مائلٍ إلى استنباط الحكم الفقهيِّ، وآخر عقديٍّ متكلِّم، وثالثٍ أديبٍ لغويٍّ حاذقٍ، ورابعٍ مفسِّرٍ بالأثر.

أمَّا العلاَّمة الدكتور محمود البستانيّ – رحمه الله تعالى– فقد درس القرآن درسًا مميزًا، ونظَّم آي السورة على وفق أقسام ومقاطع في عقدٍ فريدٍ يُظهر فيه جمال النظم الإلهيّ، ذي الترتيب المحدد بمقدار معين، ويُعدُّ تفسيره واحدًا من التفاسير الأدبية البلاغية المعاصرة، ومع أنَّ هذا التفسير مليء بالكنوز الثمينة والثروة الدفينة، إلاَّ أنَّه بعيدُ الغور، محجوبٌ بأستارٍ من الفذلكات، بحيث جعلت منه تفسيرًا مقصورًا على طبقة خاصَّة من الناس .

وقد عُني البستاني في تفسيره الموسوم (التفسير البنائيّ للقرآن الكريم) بالجانب الأدبيّ والبلاغيّ الكاشف عن إعجاز النَّظم وجمال مبناه ومعناه، فنظر إلى السورة المباركة بوصفها وحدة بنائيَّة واحدة متناسقة شكلاً ومضمونًا، فهو يعرض المعاني والأفكار التي حوتها السورة متناسقة متآلفة، بينها وحدة موضوعيَّة، إذ تجمعها خيوط متينة، وخطوط دقيقة، تفضي إلى تكامل السورة على نحوٍ بنائيّ معجز.

كما حرص البستانيّ في هذا التفسير على دمج كلِّ موضوعات السورة تحت غرض موحَّد وفكرة أساسيَّة تدور عليها آيات السورة الواحدة بأكملها، وطبَّق هذا الغرض على السور القرآنيَّة كافَّة، وهذا سُرَّ تسمية كتابه بـ(التفسير البنائيّ)[1].

والدارسون لهذا التفسير يتلمَّسون الجوانب الذوقيَّة والمنطقيَّة لآي الذكر الكريم، ويتحسَّسون عظمة تلك الصنعة الأدبيَّة، التي فاق بناؤها كلَّ البناءات الأدبيَّة الأخرى، ويستكشفون ذلك الترابط والانسجام بين الآي المبارك، الذي عجز عن مجاراته أرباب الفصاحة والبلاغة وجهابذة البيان، ممَّن بلغت الرقيَّ

تعبيراتهم، ولم يستطع أحدٌ منهم الصمود أمامه، إذ لا يجد المرء أسلوبًا جذَّابًا وأنيقًا إلاَّ في هذا البناء الجميل، الذي فاح منه عبقٌ فريدٌ!! .

وشعورًا من الباحثتين بالفائدة الأصيلة، فقد تخيَّرتا مثالاً تطبيقيًّا للإعجاز البنائيّ للقرآن الكريم من خلال النظر في تفسير الدكتور محمود البستانيّ لسورة مريم كأنموذج إجرائيّ تبينان فيه طرفًا من اهتمام صاحب هذا التفسير وعنايته بالوحدة البنائيَّة للسورة القرآنيَّة؛ ولذا فقد استقرَّت صورة البحث في تمهيد وثلاثة مطالب وخاتمة بنتائج البحث، على النحو الآتي:

تمهيد : التعريف بشخصية الدكتور محمود البستاني .

المطلب الأوَّل : معنى الإعجاز البنائيّ عند الدكتور محمود البستانيّ .

المطلب الثاني : الإعجاز البنائيّ في دراسات ما قبل الدكتور البستانيّ .

المطلب الثالث : (سورة مريم) أنموذجًا إجرائيًّا للإعجاز البنائيّ .

والله تعالى وحده نسأل، أن يجزي علماءنا عنَّا خير الجزاء، وأن ينفعنا بعلمهم، وأن يفتح علينا من أسرار كتابه الكريم، ليكون عملاً تقرُّ به أعيننا وذخرًا لنا بعد مماتنا، إنَّه أكرم مقصود، وخير مأمول.

تمهيد : **التعريف بشخصية الدكتور محمود البستانيّ** :

هو محمود بن الحاج عبد الحسين الملقَّب بـ(أبو الريحة) بن أحمد بن إسماعيل بن محمد المعروف بالبستانيّ ، ولد في مدينة النجف الأشرف سنة ١٩٣٧م[٢] وسط مجتمع إسلاميّ ومحيط علميّ.

ثُمَّ نشأ وترعرع في أحضان أسرة مؤمنة مواظبة على تطبيق تعاليم الشريعة المقدَّسة، إذ جسَّدت صورًا جميلة من الزهد والتقوى، يتغنَّى بها كلُّ من يريد الوصول إلى مدارج القرب الإلهيّ.

وقد تربَّى في كنف والده الحاجّ عبد الحسين أحمد ذلك الرجل العبَّاد الزهَّاد التوَّاق في خدمة أهل بيت النبوّة – عليهم السلام – الذي كان يشغل دكَّانًا صغيرًا في سوق النجف الكبير، لا تشكِّل مجموع مساحته الكليَّة خمسة وسبعين سنتمترًا مربَّعًا ، ليبيع من خلاله العطور فكان يقتسم نصف ربحه اليوميّ في خدمة الإمام الحسين – عليه السلام – [٣] .

وقد عاش البستانيّ حياة علميَّة حافلة بالإنجازات، يقترن فيها العلم بالسِّلوك، ويتجلَّى في توازنها الفكر الثاقب، والعطاء النيِّر، والإسهام الكبير، فنال منها ما نال من تحصيل الكمالات العلميَّة السامية، فقد دخل إلى كلية الفقه في النجف الأشرف سنة ١٩٦١-١٩٦٢م وخرج منها سنة ١٩٦٤-١٩٦٥م، وبعد تخرّجه فيها وحصوله على شهادة البكالوريوس سافر إلى القاهرة لإكمال دراسته العليا، فحصل على شهادة الماجستير في النقد الأدبيّ من كلِّيَّة دار العلوم في القاهرة سنة١٩٦٩م

وجاءت رسالته تحمل عنوان (النقد الأدبيّ في العراق) ثُمَّ حصل بعد ذلك على شهادة الدكتوراه من الكلِّيَّة نفسها سنة ١٩٧٣م فجاءت أطروحته تحمل اسم (المناهج النقديَّة في نقد المعاصرين) فرجع بعدها إلى العراق وعُيِّن حين ذاك تدريسيًّا في كلِّيَّة الفقه ، وعُهد إليه تدريس جملة من العلوم منها النقد والأدب العربيّ[٤] .

وقد تتلمذ على يد البستانيّ في تلك المدَّة جمعٌ من طلَّاب العلم وعشَّاق المعرفة، وأخذوا ينهلون من علمه الفيَّاض، وبعضٌ منهم – اليوم – ممَّن يتبوؤون مكانة علميَّة سامية في المجتمع الإسلاميّ.

ولم يمكث البستانيّ في وطنه تلك المدَّة إلَّا قليلاً، فقد هُجِّر هو وعائلته قسرًا عن وطنهما من نظام الحكم البعثيّ الجائر آنذاك سنة ١٩٨٠م، ووصلت به الحال أن ينزل بأرض الجمهوريَّة الإسلاميَّة الإيرانيَّة ليعيش ألم الغربة ومرارة الفراق، فنزل في مدينة قم المقدَّسة ومن ثُمَّ انتقل إلى مشهد الإمام الرضا – عليه السلام – وبقي يعمل في مؤسَّساتها العلميَّة في إطار النشر والتأليف إلى حين سقوط النظام الدكتاتوريّ في العراق سنة ٢٠٠٣م فرجع بعدها إلى وطنه ليمارس مهامّ عمله من جديد[٥] .

توفي البستانيّ – رحمه الله – في ٩ ربيع الثاني ١٤٣٢هـ الموافق ١٥/ ٣/ ٢٠١١م تزامنًا مع عشية ذكرى وفاة كريمة أهل البيت السيدة فاطمة المعصومة -عليها السلام- عن عمر ناهز الـ« ٧٤ » عامًا قضاها في تحصيل الكمالات العلميَّة والعباديَّة ، مع ما منحه الله تعالى من ذكاء حادٍّ ، وقلم سيَّال عذب تمكَّن من خلاله نشر أفكاره ومعارفه في حقول عديدة، حيث وافته المنية في سفره إلى مدينة قم المقدَّسة، ونُقل جثمانه بعدها

إلى مدينة النجف الأشرف ليوارى مأواه الأخير في مقبرة وادي السلام، وليُدفن بجوار أمير المؤمنين عليّ – عليه السلام –[٦] .

وقد خلَّف البستانيُّ وراءه إرثًا علميًّا لم يكن مقتصرًا فيه على كتاباته التخصُّصية فحسب وإنَّما عمل على إثراء المكتبة الإسلاميَّة بمختلف الحقول المعرفيَّة القرآنيَّة منها والأدبيَّة والبلاغيَّة والنفسيَّة والاجتماعيَّة .. وغيرها، وهذا كلُّه يعود إلى سعة الثقافة وحدَّة الذكاء وجماليَّة الأسلوب الذي امتاز به المؤلِّف ناهيك عن وضعه القيِّم والمبادئ السماويَّة نصب عينيه في تعاطيه مع تلك العلوم، فكانت أهـمُّ مؤلَّفاته القرآنيَّة التي خلَّفها هو كتاب (التفسير البنائيّ للقرآن الكريم) الذي يقع في خمسة أجزاء، وكتاب (دراسات في علوم القرآن) وكتاب (القواعد البلاغيَّة في ضوء المنهج الإسلاميّ) الذي جمع فيه ثلثي القرآن تقريبًا، وكتاب (أدب الشريعة الإسلاميَّة) الذي ابتدأ فيه بأدب القرآن الكريم، ثُمَّ تناول العصور الأدبيَّة على وفق الحياة الاجتماعيَّة التي عاشها المعصومون عليهم السلام[٧] .

المطلب الأوَّل : **معنى الإعجاز البنائيّ عند الدكتور محمود البستانيّ**:

مصطلحٌ اضطلع به الدكتور محمود البستاني – رحمه الله – وقصد من خلاله إبراز مظاهر الإعجاز القرآنيّ للسورة القرآنيَّة الواحدة، فنظر إلى السورة من الوجهتين الفنِّيَّة والمعنويَّة معًا، وكشف عن الخيط الناظم والمعنى الجامع بين مكوِّناتها من مبدأها إلى خاتمتها، لإبراز وحدة نظامها اللُّغويّ والمعنويّ، وارتباط آياتها بعضها ببعض حتَّى تكون كالبنيان الواحد الذي يشدُّ بعضه بعضًا، وبيان أنَّ جميع القضايا التي احتوتها السورة المباركة ترتبط بخيط فكريّ واحد تسعى جميع الآيات إلى بيانه وإتمامه، ومتلمِّسًا جماليَّة القالب اللُّغويّ الذي تتمتّع به السورة المباركة[٨] .

ويرى البستانيّ أنَّ السورة القرآنيَّة مهما تعدَّدت أغراضها وتنوَّعت أهدافها، فإنَّها ملتحمة ومترابطة فيما بينها، إذ لا يمكن نقل بعض الكلمات أو الآيات ووضعها في محلٍّ آخر؛ لأنَّه سيَحدث خللٌ في الموضوع واضطراب وضياع في فكرة السورة ووحدة نظامها اللُّغويّ والمعنويّ، لأنَّ السورة الكريمة هي وحدة موضوعيَّة واحدة، تضمُّ في داخلها أجزاء متآلفة مجتمعة، تشترك بعصب فكريّ موحَّد في موضوعات موحَّدة .

إنَّ البستاني – رحمه الله – في نظرته إلى السورة القرآنيَّة – زيادة على اكتشافه الوحدة الترابطيَّة بين مكوّناتها – يحاول توظيف العناصر اللَّفظيَّة والصوريَّة والإيقاعيَّة وغيرها من عناصر تنظيم النصِّ الأدبيِّ لأجل إنارة فكرة السورة الأساسيَّة والموضوع الذي تريد الإفصاح عنه، فهو يريد أن يؤكِّد علاقة آي السورة

بعضه ببعض، وأنَّ ثـمَّـة إطارًا عامًّا يسور السورة بأجمعها، وأنَّ لكلِّ سورة موضوعًا معيّنًا وفكرة معيّنة يدور الحديث حولها، ومن هذا المعنى سُمِّيت السورة القرآنيَّة بـــ(السورة) لأنَّها كالسور الذي يضمُّ في داخله أشياء عديدة[٩]، فكما أنَّ سور المدينة يضمُّ في داخله مباني وشوارع وأسواقًا ومعالم ... إلخ، فكذلك السورة فإنِّها تضمُّ في داخلها مجموعة من الآيات تحوي في داخلها موضوعات وأفكارًا مختلفة يجمعها خيط ناظم ومعنىً جامع يسوِّر السورة بأكملها، وكما يقوم على هندسة سور المدينة مهندسون وخبراء، فكذلك السورة المباركة فقد أتت هندستها من لدن حكيم خبير أودع هندسته فيها، فجاءت قوية البناء، متناسقة الأجزاء، لا اختلاف فيها ولا تضارب، ذات نظام واحد متماسك، وُضعت فيه كلُّ كلمة وضعًا فنِّيًّا مقصودًا.

إنَّ نظرة البستانيّ – رحمه الله– إلى السورة القرآنيَّة نظرة تأمُّليَّة، فهو يريد لقارئها أن يتحرَّر من القراءة الجزئيَّة إلى القراءة الكُلِّيَّة، التي تترك أثرًا كُلِّيًّا وانطباعًا عامًّا لدى المتلقّي[١٠]، وهو بهذه الحال ينطلق في فهم السورة من الكلِّ إلى الجزء، وينظر إلى الوحدة بالكثرة، ومن هنا جاء تفسيره قويًّا في بابه ومحكماً في بنيانه .

وقد لاحَ للباحثتين من خلال معايشتهما فكر الدكتور البستانيّ عن تأثره بعدَّة نظريّات نفسيَّة حديثة تنطلق في فهم الأشياء من الكلِّ إلى الجزء وترى أنَّ الكلَّ أكبر من مجموع أجزائه، لعلَّ من أبرزها نظريَّة (الجشطلت) التي تبنّاها عددٌ من العلماء الألمان أمثال : فرتهايمر، كولهر، وغيرهما[١١]، وهذا ما سنؤكِّده بقول البستانيّ في النصَّين الآتي ذكرهما :

قال – رحمه الله – مبيِّنًا أثر القراءة الكلِّيَّة للسورة على المتلقّي: (من الحقائق الواضحة في حقل الإدراك أو الاستجابة حيال المعرفة وتمثُّلها، أنَّ الذهن البشريّ يدرك الظواهر من خلال الكلِّ وهو أمر قد انتبهتْ إليه بعض الاتِّجاهات النفسيَّة .... فما دام المتلقِّي يستجيب للنصِّ من خلال الكلِّ، حينئذٍ فإنَّ الانتهاء من تلاوة السورة الكريمة سوف تفضي بالمتلقِّي إلى أن يظفر بالحصيلة النهائيَّة التي استهدفتها السورة)[١٢] .

وقال مشيرًا إلى ضعف القابليَّة المعرفيَّة للمفسر التي كانت – بحسب رأيه – السبب في عدم تمكُّنه من فهم السورة على وفق الفهم البنائي بقوله: (لعدم امتلاكه الخبرة الثقافية التي تسمح له بتفسير النصِّ من خلال الأدوات النفسيَّة التي أفرزتها البيئة الحديثة خلا إشارات عابرة وجدت طريقها لدى بعض المفسِّرين)[١٣] .

نستنتج من النصَّين المتقدِّمَين أنَّ البستانيّ يريد للمفسِّر أن يكون على معرفة وثقافة عاليتين بطرائق الإدراك والاستجابة وبالأدوات النفسيَّة التي أفرزتها البيئة من خلال المدارس النفسيَّة الحديثة، وما يواكبها من العمليَّات الذهنيَّة، وهذه الدعوة – بحسب علمنا والله أعلم – لم يدعُ لها داعٍ من أعلام السلف والخلف من المفسِّرين .

المطلب الثاني: الإعجاز البنائيّ في دراسات ما قبل الدكتور البستانيّ:

في نطاق ما اطَّلعت عليه الباحثتان في ميدان الإعجاز القرآنيّ والدراسات القرآنيَّة للقدامى والمحدَثين والمعاصرين، فإنَّه لم يضطلع أحدٌ من علماء السلف والخلف بمصلح (الإعجاز البنائيّ أو التفسير البنائيّ) سوى الدكتور محمود البستانيّ في نهاية القرن العشرين، وتحديدًا في كتابيه : (التفسير البنائيّ ودراسات في علوم القرآن الكريم)[١٤] اللَّذين أفصح من خلالهما عن أنَّ الرؤية البنائيَّة التي تبناها هي مدعاة لتأسيس نوع آخر للإعجاز القرآنيّ ألا وهو البنائيّ.

هذا من حيث التسمية، أمَّا من حيث المفهوم: فإنَّ القراءة الفاحصة في مصنَّفات القدامى والمحدَثين والمعاصرين، تدلُّ على أنَّ أصول الفهم البنائيّ للنصِّ القرآنيّ هي أصولٌ موغلةٌ في القدم، متأصِّلة في فكر القدامى، فقد خاضوا غمار الكشف عن معالم هذا المنهج، وسبروا أغواره سبرًا، ونقَّبوا عن مكنوناته تنقيبًا، بعد أن أدركوا معانيه، وعلموا مراميه، حتَّى جاء هذا الفهم منتشرًا في مصنَّفاتهم وما جادت به أقلامهم، فنظَّروا له وأشبعوه بحثًا فكان موضع اهتماماتهم، إلاَّ أنَّهم بحثوه تحت مسمَّيات عـديدة من قبيل: التناسب والتناسق والنظم ونحوهـا من المصطلحات.

فهذا العلاَّمة الطبرسيّ «ت : ٥٤٨ هـ» في تفسيره (مجمع البيان) يتلمَّس المناسبات والروابط المودعة في كتاب الله المصون تحت فقرة أسماها بـ «النظم» عُني فيها برصد أوجه العلاقة بين السورة والسورة وبين الآية والآية في داخل السورة الواحدة.

يقول الطبرسيّ راصدًا الوحدة البنائيَّة بين آيات سورة الضحى: (وجه اتِّصال قوله تعالى: ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ﴾ بما قبله أن قوله: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ إثباتًا لمحبَّته سبحانه إيَّاه وإنعامه عليه، فاتَّصل هذا أيضًا به، والتقدير ليس الأمر كما قالوه، بل الوحي يأتيك ما عمرت، وتدوم محبَّتي لك، وما أعطيتك في الآخرة من الشرف، ورفعة المنزلة، خيرٌ ممَّا أعطيتك اليوم، فإذا حسدوك على ذا، فكيف بهم إذا رأوا ذلك، وأمَّا اتِّصال قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ﴾ بما قبله، فوجهه أنَّه اتِّصال ذكر النعم بذكر المنعم، والتقدير إنَّه سبحانه سينعم عليك في مستقبل أمرك، كما أنعم عليك في الماضي من أمرك)[١٥].

وهذا الفخر الرازي « ت : ٦٠٦ ه » في تفسيره الكبير المسمَّى بـــ(مفاتيح الغيب) يستكشف الروابط والترتيبات المودعة في كتاب الله المجيد، وعنه قال السيوطي « ت : ٩١١ه» مثمِّنًا جهوده في هذا المجال: (وعلم المناسبة علمٌ شريفٌ قلَّ اعتناء المفسِّرين به لدقَّته وممَّن أكثر فيه الإمام فخر الدين وقال في تفسيره أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط)[١٦] .

ويـــأتي كتاب (البرهان في تناسب سور القرآن)[*] لابن الزبير الغرناطيّ « ت: ٧٠٨هـــ » بوصفه أوَّل كتاب – بحسب علمنا – يُعنى بدراسة جانب من جوانب التناسب القرآنيّ، فقد اختصَّ فيه المؤلِّف بدراسة أوجه التناسب بين السور القرآنيَّة من حيث ترتيبها الاجتهاديّ في المصحف الشريف[١٧] .

ويأتي كتاب (البرهان في علوم القرآن) للزركشّي « ت : ٧٩٤ه» حاملاً بين طيَّاته نوعًا من أنواع علوم القرآن يتحدَّث فيه المؤلِّف عن معرفة المناسبات بين الآيات منظِّرًا فيه أنواع الارتباطات بين آيات القرآن الكريم وراصدًا المناسبة التي تربط الآية بأختها ومبيّنًا فائدة معرفة هذا الترابط بقوله: (وفائدته جعل أجزاء الكلام بعضها آخذًا بأعناق بعض فيقوى بذلك الارتباط ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء)[١٨] .

ويأتي تفسير البقاعيّ « ت : ٨٨٥هـ» المسمَّى (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور) ليكون مصدرًا تراثيًّا مهماًّ في دراسة التناسب القرآنيّ، وذلك لقيمته العلميَّة في هذا المجال، فقد جاء تنفيذيًا في القرآن كلِّه، إذ يقوم المؤلِّف فيه على استكناه التناسب بين السور القرآنيَّة أوَّلاً، وبين الآيات في داخل السورة الواحدة ثانيًا، ممَّا يزيده ثراءً في أهمِّيَّته العلميَّة، إذ يُعدُّ واحدًا من مصادر استقاء جميع الدراسات التي جاءت من بعده ممَّن عُنيت بدراسة النصِّ القرآنيّ على وفق الفهم البنائيّ[١٩] .

أمَّا السيوطيّ « ت : ٩١١هـ» فقد ألّف كتابيه المعروفين بـ(تناسق الدرر في تناسب السور) والآخر (مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع) فأمَّا الأوَّل: فهو كما يتَّضح من عنوانه متخصِّص بدراسة أوجه التناسب بين السور القرآنيَّة فقط، وقد ذكر المؤلِّف عن كتابه هذا أنَّه تلخيص لمناسبات السور خاصَّة من كتابه الكبير : (أسرار التنزيل) الذي عُني فيه بدراسة مناسبات الآيات والسور ووجوه الإعجاز وأساليب البلاغة ، وقد أشار إلى هذا بقوله : (وكتابي الذي صنعته في

أسرار التنزيل كافلٌ بذلك جامع لمناسبات السور والآيات مع ما تضمَّنه من بيان وجوه الإعجاز وأساليب البلاغة ، وقد لخّصت منه مناسبات السور خاصَّة في جزء لطيف سمّيته تناسق الدرر في تناسب السور)[٢٠] وأمَّا الثاني : فيتناول فيه التناسب بين فواتح السور وخواتمها[٢١] .

وأمَّا في مجال الدراسات الحديثة والمعاصرة ، فقد ظفرت الباحثتان باستقرائهما عن وجود الفهم البنائيّ للنصِّ القرآنيّ لدى جمع من أهل العلم من أبرزهم :

٠١ مصطفى صادق الرافعي « ت : ١٣٥٦ه» في كتابه : «تاريخ آداب العرب»[٢٢] .

٠٢ محمد عبد الله درَّاز « ت : ١٣٧٧ه» في كتابه « النبأ العظيم »[٢٣] .

٠٣ سيد قطب الشاذليّ « ت : ١٣٨٥هـ» في تفسيره « في ظلال القرآن»[٢٤] «٦ أجزاء» وكتابه الآخر « التصوير الفنِّيُّ في القرآن »[٢٥] .

٠٤ عبد الله الغماري « ت : ١٤١٣ه» في كتابه : « جواهر البيان في تناسب سور القرآن»[٢٦] .

٠٥ عالم سُبَيِّط النيليّ « ت : ١٤٢١ه» في كتابه : «النظام القرآنيّ»[٢٧] .

٠٦ نصر حامد أبو زيد « ت : ١٤٣١ه» في كتابه : « مفهوم النصّ دراسة في علوم القرآن «[٢٨] .

٠٧ محمد المبارك في كتابه : « من منهل الأدب الخالد دراسة أدبية لنصوص من القرآن »[٢٩] .

٠٨ فاضل السامرائي في كتابه « التعبير القرآنيّ »[٣٠] .

كما تكشف الدراسة في هذا المجال عن وجود جهود ملموسة للباحث الياباني المستعرب « توشيهيكو إيزوتسو **Toshihiko Izutsu** »[**] في كتابه المعرَّب: (الله والإنسان في القرآن / علم دلالة الرؤية القرآنيَّة للعالم) الذي نظَّر فيه لجانب من العلاقات اللُّغويَّة والدلاليَّة للقرآن الكريم، إذ عدَّه دراسة معمَّقة للتعابير الكليَّة للقرآن الكريم، التي تمثِّل رؤية قرآنيَّة شاملة لكلِّ العالم، لكن هذه النظرة – كما يصفها توشيهيكو **Toshihiko** – ليست مجرَّد معانٍ ناتجة عن ألفاظ معجميَّة بل إنَّها تستمدّ قوَّتها من خلال البعد الترابطيّ بين جاراتها من الألفاظ ، لأنَّ معاني الألفاظ بحالها الإفراديَّة ليست موجودة في القرآن الكريم ، بل إنَّ كلَّ كلمة تُفصح عن معناها من خلال نظام العلاقات القائم فيما بينها، فتؤلِّف استنادًا إلى تلك العلاقات مجموعات مختلفة قد تكون صغيرة وقد تكون كبيرة ، حتَّى تفضي في النهاية إلى تأسيس شبكة علاقات معنويَّة ترتبط بعصب فكريّ واحد، وهو ما يصطلح عليه توشيهيكو **Toshihiko** بـ« الكلُّ الموحَّد »[٣١] .

والحقُّ : إنَّ هذا الكتاب مشحون بالنظرات العلميَّة الدقيقة التي حواها بين دفَّتيه، والتي فيها المنفعة لدارسي القرآن ولا سيَّما جانبيه اللُّغويّ والدلاليّ.

وصفوة القول مِمَّا تقدَّم ذكره: إنَّ من سلكوا هذا المسلك من أهل العلم في دراسة النصِّ المعجز كثيرون، لكنَّهم بحثوه تحت عنوانات عديدة تصبُّ في مفهوم واحد هو الفهم البنائيّ للنصِّ الكريم الكريم، وعليه فعلماء التناسب والتناسق والنظم هم البنائيّون الأوائل بحسب تعبيرنا المعاصر، وهم الذين سبقوا البستانيّ في هذا المضمار، فإنَّهم وإنْ لم يصرِّحوا بذكر مصطلح (الإعجاز البنائيّ أو التفسير البنائيّ) إلَّا أنَّهم كانوا أقرب ما يسيرون على هذا المنهج، وهم الذين طبَّقوه على النصِّ القرآنيّ، بل إنَّ مسارهم العمليّ في انتهاج هذا النهج هو الذي فتح الآفاق أمام البستانيّ لكي يُنظّر لهذا المنهج ويُؤصِّل له، فالسابقون هم الأقدمون، والمنظِّرون هم المعاصرون الذين انتهجوا هذا النهج، في طليعتهم الدكتور البستانيّ ولكلٍّ نصيبه من الأجر تجاه خدمة كتاب الله العزيز .

المطلب الثالث : (**سورة مريم**) **أنموذجاً إجرائياً للإعجاز البنائيّ**.

سورة مريم هي من السور المكّيَّة، وعدد آياتها (٩٨) آية، وعدد كلماتها ٩٧٢ كلمة، وفي فضلها قال الإمام أبو عبد الصادق –عليه السلام– : (من أدمن قراءة سورة مريم لم يمت حتَّى يصيب ما يغنيه في نفسه وماله وولده وكان في الآخرة من أصحاب عيسى (عليه السلام) وأُعطي في الآخرة مثل ملك سليمان بن داود في الدنيا)[٣٢] .

ولقد تأمَّل د. البستانيّ – رحمه الله – في هذه السورة فوجدها وحدة بنائيَّة متكاملة من جميع النواحي، ويمكننا الإشارة إلى أهمِّ مظاهر الإعجاز البنائيّ في هذه السورة فيما يأتي ذكره :

١– لقد شاع مفهوم (الرحمة) بين جميع آي السورة المباركة، من مبدأها إلى خاتمتها، فصار بمنزلة الخيط الناظم والمعنى الجامع الذي ترتبط به موضوعات السورة بأجمعها، وكان فكرة مركزيَّة تريد السورة الإفصاح عنها، فقد تكرَّرت ألفاظ الرحمة في هذه السورة بنحو كثيف ملفت للنظر، حتَّى هيمن هذا المفهوم على جوِّ السورة وفضائها، فكان هو المحصِّلة الإجماليَّة التي يظفر بها القارئ بعد فراغه من تلاوة السورة الكريمة، ولنقرأ هذه الآيات كي نتحسَّس هذا المفهوم أكثر فأكثر من خلال ألفاظ الرحمة الواردة في السورة:

– قال تعالى : ﴿ ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا ﴾ مريم : ٢.

– قال تعالى : ﴿ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴾ مريم : ١٨ .

– قال تعالى : (وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا) مريم:٢١.

- قال تعالى : (إِنِي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا) مريم : ٢٦ .
- قال تعالى : (وَوَهَبْنَا لَهُم مِن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا) مريم: ٥٠ .
- قال تعالى : (وَوَهَبْنَا لَهُ مِن رَّحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا) مريم : ٥٣ .
- قال تعالى : (إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا) مريم: ٥٨ .
- قال تعالى : (جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ) مريم : ٦١ .
- قال تعالى : (أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا) مريم : ٦٩ .
- قال تعالى : (فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا) مريم : ٧٥ .
- قال تعالى : (أَمِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا) مريم : ٩٨ .
- قال تعالى : (يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا) مريم : ٨٥ .
- قال تعالى : (إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا) مريم : ٨٧ .
- قال تعالى : (وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا) مريم : ٨٨ .
- قال تعالى : (أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا) مريم : ٩١ .
- قال تعالى : (وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا) مريم : ٩٢ .
- قال تعالى : (إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا) مريم : ٩٣ .
- قال تعالى : (سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا) مريم : ٩٦ .

إنَّ كلَّ هذه الآيات تشكِّل أسلوبًا واضحًا لتعميق مفهوم الرحمة لدى المتلقّي، ولتكون فكرة أساسيَّة تحوم حولها جميع آيات السورة المباركة، ثُمَّ إنَّ تكرار الذكر العزيز لكلمة (الرحمن) في السورة من دون كلمة (الله) أو (الربِّ) أو غيرها ،

لا بدَّ وأنْ يعطي دلالة على أنَّ هدف السورة العام هو تكريس مفهوم الرحمة لدى القارئ[٣٣]، وأنَّ الاستعمال القرآنيّ للألفاظ لم يكن عبثًا أو مصادفة عشوائيَّة، بل جيء به على تلك الحال لينسجم مع فكرة الآي، وليخضع لخصيصة السياق، وفنِّيَّة البناء الجماليّ للتعبير الكريم.

٢- إنَّ سورة مريم من حيث البناء الموضوعيّ قد بُنيت على مجموعة من الموضوعات المترابطة فيما بينها ،فقد استهلت بقصَّة زكريا – عليه السلام – في قوله تعالى: ﴿ كٓهيعٓصٓ ﴿١﴾ ذِكۡرُ رَحۡمَةِ رَبِّكَ عَبۡدَهُۥ زَكَرِيَّآ ﴿٢﴾ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلۡعَظۡمُ مِنِّي وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا وَلَمۡ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيّٗا ﴿٤﴾ وَإِنِّي خِفۡتُ ٱلۡمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِي وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا فَهَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيّٗا ﴿٥﴾ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنۡ ءَالِ يَعۡقُوبَ وَٱجۡعَلۡهُ رَبِّ رَضِيّٗا ﴿٦﴾ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسۡمُهُۥ يَحۡيَىٰ لَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ مِن قَبۡلُ سَمِيّٗا ﴿٧﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا وَقَدۡ بَلَغۡتُ مِنَ ٱلۡكِبَرِ عِتِيّٗا ﴿٨﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٞ وَقَدۡ خَلَقۡتُكَ مِن قَبۡلُ وَلَمۡ تَكُ شَيۡـٔٗا ﴿٩﴾ قَالَ رَبِّ ٱجۡعَل لِّيٓ ءَايَةٗۚ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٖ سَوِيّٗا ﴿١٠﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ مِنَ ٱلۡمِحۡرَابِ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَيۡهِمۡ أَن سَبِّحُواْ بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا ﴿١١﴾ يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحُكۡمَ صَبِيّٗا ﴿١٢﴾ وَحَنَانٗا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةٗۖ وَكَانَ تَقِيّٗا ﴿١٣﴾ وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَيۡهِ وَلَمۡ يَكُن جَبَّارًا عَصِيّٗا ﴿١٤﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَيۡهِ يَوۡمَ وُلِدَ وَيَوۡمَ يَمُوتُ وَيَوۡمَ يُبۡعَثُ حَيّٗا ﴿١٥﴾ ﴾ ، فبعد هذه القصة مباشرة جاءت قصَّة مريم –عليها السلام– : ﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا مَكَانٗا شَرۡقِيّٗا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتۡ مِن دُونِهِمۡ حِجَابٗا فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ

لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾ فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾ فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾ فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ﴾

قال البستانيّ في بيان الوحدة البنائيَّة بين القصَّتين: (إنَّ شخصية مريم بصفتها منذورة عباديًّا، رسمتها القصَّة عابدة قد انتبذت من أهلها مكانًا شرقيًّا .... هنا لا نغفل أنَّ قصَّة زكريا قد شدَّدت على هذا الجانب العباديّ حيث كان المحراب وما يواكبه من الممارسات إفصاحًا عن هذا الجانب الذي يتجانس من خلاله كلٌّ من شخصيتي زكريا ومريم فنِّيًّا أمَّا البعد الآخر من التجانس الفنِّيِّ بين بطلي القصَّتين،

فيتمثَّل في الظاهرة الإعجازيَّة الآتية: بينما كانت مريم في عزلتها العباديَّة، إذا بها تواجه ما خُيّل إليها بشرًا سويًّا، بينما كان روحًا ملكًا بعثه الله)[٣٤].

وفي هذا بيَّن – رحمه الله – أنَّ كلا الشخصيتين - زكريا ومريم – عليهما السلام من حيث البناء الموضوعي لقصتيهما يشتركان في ثلاثة جوانب تجمع بينهما هي : جانب العزلة ، وجانب العبادة ، وجانب الإيحاء ، فكما كانت مريم عابدة يوحى إليها في عزلتها ، كذلك كان زكريا – عليه السلام – .

٣- لقد ظهر التشابه في بُنية الأسلوب التعبيريّ على لسان مريم وزكريا عليهما السلام فقد ظهر من جهة ردود الفعل حيال الحدث المفاجئ ، فعلى الرغم من أنَّ زكريا مسبوق ببشارة الوليد، إلَّا أنَّه حين بُشِّر بالمولود هتف قائلاً : ﴿ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ﴾وهي نفس العبارة التي هتفت بها مريم – عليها السلام– بُشرت بالمولود قائلة :﴿أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ ﴾.

ولم يقتصر هذا التشابه على البشارة بالمولود فحسب ، وإنَّما تمثَّل في نفس الإجابة التي أجاب بها المَلَك كلًّا من مريم وزكريا – عليهما السلام– حين سألا ربَّهما ، فقد أجاب المَلَك زكريا بقوله :﴿قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ﴾ وأجاب مريم بالعبارة نفسها قائلاً : ﴿قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ﴾ ، فللَّه ما أروع التعبير الكريم ! .

وأنَّنا إذا أنعمنا النظر بين آي هذه السورة فسنجد أنَّ هذا التشابه لم يكن تعبيريًا فحسب، وإنَّما دلاليًّا أيضًا، فلو تأمّلنا القصَّتين – قصَّة زكريا ومريم – لوجدنا هنالك خيطًا فكريًّا يوحِّد بينهما يتمثَّل في طهارة المولد بالنسبة لكلا المولودين ، إذ التمس

زكريا ربَّه أن يهب له وليدًا رضيًا بقوله : ﴿وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ في حين قال المَلَك لمريم : ﴿أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا﴾ ، هذا فضلاً عن قضية الإنجاب المعجز الخارج عن القوانين الطبيعية والذي تشترك به كلا الشخصيتين[٣٥] .

هذه بعض خيوط الوحدة البنائيَّة في سورة مريم من خلال قصَّتي زكريا ومريم – عليهما السلام – وللحديث تتمَّة حول ما تبقى من مظاهر الإعجاز البنائيّ في هذه السورة ، سوف نعرض لها في مقامات لاحقة بإذنه تعالى.

خاتمة البحث :

بعدما انتهينا من بحثنا هذا خرجنا بالنقاط الآتي ذكرها :

١. إنَّ القراءة البنائيَّة التي سلكها البستانيّ – رحمه الله – في دراسة السورة الكريمة من حيث التصنيف تندرج ضمن القراءات الأدبيَّة البلاغيَّة للنصِّ القرآنيِّ، فهو يكشف عن جمال النَّظم الإلهيّ لآي السُّورة القرآنيَّة، مع وقوفه على السمات الفكريَّة للنصِّ الكريم .

٢. كشفت الباحثتان بما جادت به قدرتها من الاطِّلاع على المصنَّفات القرآنيَّة للقدامى والمحدَثين والمعاصرين، عن أنَّ أصول الفهم البنائيّ للنصِّ القرآنيِّ – عمومًا – هي أصولٌ موغلةٌ في القدم لكنَّها بُحثَت تحت عنوانات عدّة من قبيل: التناسب والتناسق والنظم ونحوها من المصطلحات .

٣. انطلق البستاني في تفسيره السورة المباركة من الكلِّ إلى الجزء، ومن الوحدة إلى الكثرة ، ومن هنا جاء تفسيره قويًّا في بابه ومحكمًا في بنيانه .

٤. يرى البستاني أنَّ موضوعات السورة المباركة مهما تعدَّدت وتنوَّعت فإنَّها مترابطة ومنسجمة فيما بينها، وأنَّ هنالك ثمَّة فكرة أساسيَّة تدور عليها آيات السُّورة بأجمعها، هي بمنزلة الفكرة المركزيَّة أو الهدف العام الذي تريد السورة إيصالها إلى المتلقِّي.

هذا ما وفِّقنا إليه سبحانه، أسأل الله تعالى أن ينفع به، وأن يغفر لي ما زلَّ به القلم، وأن يوفقنا في قابل الأيَّام لخدمة كتابه المجيد، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين، وما توفيقي إلاَّ بالله، عليه توكلَّت وإليه أنيب وهو حسبي.

الهوامش:

١. انظر : التفسير البنائي ، محمود البستاني : ١/ ٦ .

٢. انظر : المنهج البنائي في التفسير عند الدكتور محمود البستاني ، أحمد حنون ميس : ٦ (رسالة ماجستير) كلية الفقه – جامعة الكوفة .

٣. انظر : المرجع نفسه : ٦ .

٤. انظر : المرجع نفسه : ٧ .

٥. ٠٥ المعلومة هذه نُقلت إلينا عن طريق د. عباس البستاني الأخ الأصغر للدكتور البستاني.

٦. انظر : المنهج البنائي في التفسير عند الدكتور محمود البستاني : ٩ .

٧. انظر : المرجع نفسه : ١٠ .

٨. انظر : محاضرات في علوم القرآن، محمود البستاني: ٥٥.

٩. انظر : الفيروز آبادي، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز : ٣/ ٢٧٤.

١٠. انظر : التفسير البنائي : ١/ ٧ .

١١. انظر : علم نفس الجشطلت ، بول جييوم : ١٢ + علاقة أبعاد عملية الإدراك الاجتماعي ببعض العمليات العقلية ، سماح خالد : ص١١٥ (رسالة ماجستير) .

١٢. التفسير البنائي للقرآن الكريم ، محمود البستاني « بحث » .

١٣. انظر: المنهج البنائي في التفسير عند الدكتور محمود البستاني: ص١٠ .

١٤. انظر : التفسير البنائي : ١/ ٢ + محاضرات في علوم القرآن: ١٩٥ .

١٥. مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي : ١٠ / ٣٨٦ .

١٦. الإتقان في علوم القرآن، السيوطي : ٣/ ٣٦٩ .

١٧. ينظر : البرهان في تناسب سور القرآن، الغرناطي : ١٨٠ .

١٨. البرهان في علوم القرآن، الزركشي : ١/ ٣٦ .

١٩. ينظر : نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي : ٢٢ / ٢٨٧ .

٢٠. الإتقان في علوم القرآن : ٣/ ٣٦٩ .

٢١. ينظر : مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع، السيوطي : ١١ .

٢٢. ينظر : تاريخ آداب العرب، الرافعي : ٣/ ١٢٥-١٣٩ .

٢٣. ينظر : النبأ العظيم، درَّاز : ١٧٦ .

٢٤. ينظر : في ظلال القرآن، الشاذلي : ٦/ ٣٩٨٤.

٢٥. ينظر : التصوير الفني في القرآن، الشاذلي : ١١ .

٢٦. ينظر : جواهر البيان في تناسب سور القرآن، الغماري : ١٢ .

٢٧. ينظر : النظام القرآني، النيلي : ١٢ .

٢٨. ينظر : مفهوم النص دراسة في علوم القرآن، أبو زيد : ١٥٣ .

٢٩. ينظر : من منهل الأدب الخالد دراسة أدبية لنصوص من القرآن، المبارك : ٣ .

٣٠. ٠٣٠ ينظر : التعبير القرآني، السامرائي : ٢٥٢ .

٣١. ينظر : الله والإنسان في القرآن علم دلالة الرؤية القرآنية للعالم، توشيهيكو إيزوتسو : ٣٤.

٣٢. وسائل الشيعة ، الحر العاملي : ٦/ ٢٥٢ .

٣٣. انظر : دراسات في علوم القرآن : ٤٥٩ .

٣٤. التفسير البنائي : ٣/ ٧٧ .

٣٥. انظر : المصدر نفسه والصفحة نفسها .

* ويسمى : البرهان في ترتيب سور القرآن .

** باحث ياباني، من مواليد طوكيو سنة ١٩١٤م، تخرج في جامعة « كيو keio » ودرَّس فيها للسنوات ١٩٥٤-١٩٦٨م، ودرَّس أيضا في معهد الدراسات الإسلامية في جامعة : مكجيل، مونتريال، كند، وكذلك في المعهد الملكي لدراسة الفلسفة في إيران، كان عضوًا نشطًا في الأكاديمية اليابانية، وكذلك كان أستاذًا فخريًا لجامعة كيو keio، توفي سنة ١٤١٣هـ -١٩٩٣م، وخلف وراءه مؤلفات عدة منها : « بنية المصطلحات الأخلاقية في القرآن » و« مفهوم الإيمان في الدين الإسلامي» و« الله والإنسان في القرآن علم دلالة الرؤية القرآنية للعالم » وغيرها، ينظر : الله والإنسان في القرآن : هامش صفحة ٩ .

المصادر والمراجع:

- كتاب الله المجيد القرآن الكريم

١. جلال الدين السيوطي (ت : ٩١١هـ)،الإتقان في علوم القرآن، محمد أبو الفضل إبراهيم، مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤ م .

٢. ابن الزبير الغرناطي (ت : ٧٠٨هـ)، البرهان في تناسب سور القرآن، تحقيق محمد شعباني، المغرب، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الطبعة ١٤١٠هـ / ١٩٩٠ م .

٣. بدر الدين الزركشي (ت : ٧٩٤ هـ)، البرهان في علوم القرآن، تحقيق أبو الفضل إبراهيم، لبنان، دار الكتب العربية، الطبعة ١٣٧٦هـ / ١٩٥٧ م .

٤. الفيروز آبادي (ت : ٨١٧هـ)، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تحقيق محمد علي النجار، بيروت، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، (د . ت) .

٥. مصطفى صادق الرافعي (ت : ١٣٥٦هـ)، تاريخ آداب العرب، بيروت، دار الكتاب العربي، (د . ت) .

٦. سيد قطب الشاذلي (ت : ١٣٨٥هـ)، التصوير الفني في القرآن، بيروت، دار الشروق، الطبعة ١٤١٢هـ / ١٩٩٢ م .

٧. التعبير القرآني، عمان، دار عمار، الطبعة ١٤١٩هـ / ١٩٩٨ م .

٨. فاضل السامرائي، التفسير البنائي للقرآن الكريم، محمود البستاني (ت : ١٤٣١هـ)، مشهد، مؤسسة الإستانة الرضوية المقدسة، الطبعة ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٧ م .

٩. عبد الله الغماري (ت : ١٤١٣هـ)، جواهر البيان في تناسب سور القرآن،مصر، مكتبة القاهرة، (د . ت).

١٠. سماح خالد ، علاقة أبعاد عملية الإدراك الاجتماعي ببعض العمليات العقلية ، رسالة ماجستير، كلية البنات للآداب والعلوم التربوية – جامعة عين شمس، ١٤٢٢ هـ .

١١. انظر : بول جييوم، علم نفس الجشطلت ، ترجمة : صلاح مخيمر وعبده ميخائيل رزاق، مؤسسة سجل العرب، القاهرة – مصر، ط١، ١٣٨٣ هـ .

١٢. سيد قطب الشاذلي (ت : ١٣٨٥هـ)، في ظلال القرآن، بيروت، دار الشروق، الطبعة ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م .

١٣. توشيهيكو إيزوتسو، الله والإنسان في القرآن علم دلالة الرؤية القرآنية للعالم، ترجمة وتقديم هلال محمد الجهاد، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧ م .

١٤. الشيخ الطبرسي (ت : ٥٤٨هـ) مجمع البيان في تفسير القرآن ، بيروت ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، الطبعة ١٤١٥هـ .

١٥. جلال الدين السيوطي (ت : ٩١١هـ)، مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع، الرياض، مكتبة دار المنهاج، الطبعة ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥ م .

١٦. نصر حامد أبو زيد (ت : ١٤٣١هـ)، مفهوم النص دراسة في علوم القرآن، بيروت، المركز الثقافي العربي، الطبعة ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨ م .

١٧. محمد المبارك، بيروت، من منهل الأدب الخالد دراسة أدبية لنصوص من القرآن، دار الفكر للطباعة والنشر، الطبعة ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣ م .

١٨. محمود البستاني -المنهج البنائي أو العضوي في تفسير القرآن الكريم ، (بحث) مجلة قضايا إسلامية معاصرة، السنة الثانية، العدد ٢ .

١٩. محمد عبد الله درَّاز (ت : ١٣٧٧هـ) النبأ العظيم، الكويت، دار القلم للنشر والتوزيع، الطبعة ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥ م .

٢٠. عالم سبيط النيلي (ت : ١٤٢١هـ)، النظام القرآني مقدمة في المنهج اللفظي، بيروت، دار المحجة البيضاء، الطبعة ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م.

٢١. برهان الدين البقاعي (ت : ٨٨٥هـ)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، مصر، دار الكتاب الإسلامي، (د . ت) .

٢٢. الحر العاملي (ت : ١١٠٤هـ) وسائل الشيعة إلى تحصيل مقاصد الشريعة ، قم ، مؤسسة أهل البيت –ع– ١٤١٤هـ .